

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

« مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ [...] »

أَبِيهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ مُقَدَّسَةٌ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْهَا. لِأَنَّهَا قَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ تَكْتَسِبُ قِيَمَتَهَا بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى لِخَلْقِهِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. كُلُّ إِنْسَانٍ مُوقَّرٌ بِسَبَبِ فِطْرَتِهِ الَّتِي تَجْعَلُهُ إِنْسَانًا. وَيُشِيرُ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْأَشْيَاءِ الْمُهَمَّةِ الْمَشْتَرَكَةِ بَيْنَ الْبَشَرِ بِقَوْلِهِ "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ".

وَلَا شَكَّ أَنَّ خَلْقَ الْإِنْسَانِ فِي حَدِّ دَاتِهِ مَطَهَّرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ الْفَرِيدَةِ. وَالْإِنْسَانُ أَيْضًا وَصَلَ إِلَى قِيَمَةٍ لَا تَتَحَمَّلُهَا الْجِبَالُ وَالْمَخْلُوقَاتُ كَافَّةً بِتَلْقَى الْوَحْيِ. إِنَّ الْوَحْيَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيَّ الْإِنْسَانَ عِبْرَ التَّارِيخِ يَحْتَضِرُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الشَّيْءِ الْمَشْتَرَكِ بَيْنَ النَّاسِ رَغْمَ اخْتِلَافِنَا. وَتُشِيرُ الْآيَةُ إِلَى أَنَّ كُلَّ الْاِخْتِلَافَاتِ بَيْنَ النَّاسِ تَهْدِفُ إِلَى حِكْمَةٍ إِلَهِيَّةٍ وَاحِدَةٍ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ٤). إِنَّ اخْتِلَافَاتِنَا تُذَكِّرُنَا بِاللَّهِ بِكُونِهِ وَضَعِ الرَّحْمَةِ فِيْنَا.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

لِلْأَسَفِ فَإِنَّ الْبَشَرِيَّةَ بَعِيدَةٌ كُلُّ الْبُعْدِ عَنِ إِدْرَاكِ ذَلِكَ حَتَّى أَنَّهَا لَا تَصْنَعِي إِلَى نِدَاءِ فِطْرَتِهَا، وَلَا إِلَى نِدَاءِ الْوَحْيِ، وَلَا إِلَى نِدَاءِ الْخَلْقِ وَإِلَّا كَيْفَ يُمَكِّنُنَا تَفْسِيرُ الْكِرَاهِيَةِ وَالْعِدَاءِ وَالْحُرُوبِ الَّتِي لَا تَزَالُ مُسْتَمِرَّةً حَتَّى الْيَوْمِ؟ وَكَمَا نَشْهَدُ فِي يَوْمِنَا هَذَا مُصَدِّقَ قَوْلِهِ تَعَالَى: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" فَإِنَّا نَشْهَدُ أَيْضًا الْيَوْمَ تَجَلِّيَاتِ قَوْلِهِ تَعَالَى: "ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ".

الْإِنْسَانُ الظَّالِمُ لَا يُعْطِي حَقَّ الْحَيَاةِ لِشَخْصٍ آخَرَ، وَكَأَنَّهُ يُخَالِفُ فِطْرَتَهُ. فَهُوَ بِتَعَاضِيهِ عَنِ فِطْرَتِهِ، يَظْلِمُ نَفْسَهُ ظُلْمًا حَقِيقِيًّا. وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ تَقْدِيرَ قِيَمَةِ الْآخَرِينَ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَدِّرَ قِيَمَةَ نَفْسِهِ؟ وَلِأَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَمَا يَبْتَعِدُ عَنِ فِطْرَتِهِ، فَإِنَّهُ يَظْلِمُ أَيْضًا الْآخَرِينَ، وَلِأَنَّهُ خَالَفَ فِطْرَتَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ فِي سَلَامٍ مَعَ شَخْصٍ آخَرَ.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ الْأَحْدَاثَ الْمُؤَلِّمَةَ الَّتِي وَقَعَتْ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَسْبُوعَيْنِ حَطَمَتْ قُلُوبَنَا. وَإِنَّ أَجْسَادَ الْأَطْفَالِ بَيْنَ الْمَبَانِي الْمُدْمَرَةِ وَصُرَاخِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ الَّذِي يَرْتَفِعُ حَتَّى السَّمَاءِ يُظْهِرُ لَنَا أَنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ فِي الْقُرْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ لَمْ تُحَقِّقْ أَيَّ تَقَدُّمٍ كَمَا يُرْعَمُ.

وَبَعْضُ النَّظَرِ عَنِ رَفُضِ الْحَرْبِ نَفْسِهِ، عِنْدَمَا نَرَى قَتْلَ الْمَدِينِيِّينَ وَانْتِهَاكَ الْحُقُوقِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَقَوَانِينِهَا تَحْتَ الْإِقْدَامِ، نَشْعُرُ بِالْفَلَقِ تَجَاهَ مُسْتَقْبَلِنَا. عَلَيْنَا أَنْ نَصْنَعِي حَبِيبًا إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ بِحِكْمَةٍ: (مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا).

أَبِيهَا الْإِخْوَةُ الْأَفْضَلُ،

إِنَّ دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ لِلنَّجَاةِ هِيَ لِلبَشَرِيَّةِ أَجْمَعِينَ. إِذَا لَمْ نَتِمَكَّنْ مِنْ تَحْقِيقِ السَّلَامِ فِي الدُّنْيَا، فَلَا تَظُنَّ بِأَنَّ سَنَصِلُ لِلسَّلَامِ فِي الْآخِرَةِ. نَحْنُ نَرَى أَنْفُسَنَا مُلْزَمِينَ بِحِمَايَةِ حُقُوقِ الْآخَرِينَ فِي الْحَيَاةِ، بِبَعْضِ النَّظَرِ عَمَّا يَكُونُ. وَنَحْنُ نَدْعُو الْبَشَرِيَّةَ أَجْمَعِينَ دَائِمًا إِلَى نِدَاءِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا).

إِذَا لَمْ نَتِمَكَّنْ مِنْ إِبْقَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي جَمِيعِ الْمَنَاطِقِ الَّتِي يُعَانِي فِيهَا الْمَظْلُومُونَ، فَلَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَدْعِي بِأَنَّ نَعِيشُ إِنْسَانِيَّتَنَا. وَلِهَذَا السَّبَبِ، فَإِنَّا نَدْعُو الْبَشَرِيَّةَ جَمِيعًا إِلَى تَحْقِيقِ فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ. وَنَدْعُو إِلَى فَهْمِ الْفِطْرَةِ الَّتِي غَرَزَهَا فِيْنَا مَوْلَانَا عَزَّ وَجَلَّ.

